الوحدة الوطنية
وأهميتها

الشيخ
أ.د. محمد بن هيثم هيث

قام بها فريق التفريغ في
شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعيَّةِ أن تقدِّم لكم تفريغا لمحاضرة بعنوان

الوحدةُ الوطنية وأهميتُها

للشيخ

د.محمد بن غيث غيث

حفظه الله تعالى

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبدُ الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد،

أيها الأفاضل: عنوان محاضرتنا في هذه الليلة المباركة: الوحدة الوطنية وأهميتها.

أيها الأفاضل: إن توحُّد الأوطان واجتماع أهله معناه اجتماع خيرات الدنيا والدين، رخاء واستقرار وأمن وأمان وعيش مدرار مع إيمان وإقامةٍ للدين ثم رضوان من الله وجنة، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فالاجتماع والاتحاد من أعظم نعم الله تعالى على العباد وعلى البلاد، وهو واجب من واجبات الدين ومقصد من مقاصد الشريعة العظيمة، وهو ضرورة من ضرورات الحياة، فيه الألفة وفيه القوة وفيه حفظ البيضة والهيبة، وفيه صيانة مصالح الأمة وفيه انقضاء أمور الملة.

وقد قال الله ﷻ آمرا بالاعتصام: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ}[آل عمران:١٠٣]، كما حذر من الاختلاف فقال: {وَلاَ تَكُونُواْ

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم} [آل عمران:١٠٥]، {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين} [الأنفال:٤٦].

وقد قال النبي ﷺ :«عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ»[(١)] ، وقال ﷺ:«إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا».[(٢)]

وأقف مع وصية عظيمة واحدة من وصايا رسول الله ﷺ لأمته فيها الخير أجمع، هذه الوصية أوصاها رسول الله ﷺ أمتَهُ في أعظم جمعٍ شهده المسلمون في الصدر الأول في حجة الوداع، وفي أعظم الأيام، في أوسط أيام التشريق، وقد اجتمع في حجة الوداع من الناس ما لم يجتمع قبل ذلك، بل حضره ممن لم يكنْ قد رأى النبي ﷺ قبل ذلك، اجتمع فيه الحُضَّار والبدو من الآفاق كلها في أعداد لا يحصيهم إلا الله ﷻ، فأوصاهم النبي ﷺ بوصايا عظيمة، وأمرهم بتبليغها ووعيها.

من أهم هذه الوصايا المتعلقة بموضوعنا ما رواه الإمام أحمد والترمذي والدارمي وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان وغيرهم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ بالخيف من منًى، بالخيف: مسجد الخيف معروف بمنًى، قال:

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٧)، والنسائي في (السنن الكبرى) (٩٢١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٢) رواه مسلم (١٧١٥).

قام رسول الله ﷺ بالخيف من منًى، فقال: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا وفي رواية: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» ثم ذكر هذه الوصية قال: «ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ ».(١)

هذه الوصية أيها الأفاضل ثلاث جمل: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، ثم نتيجة ذلك: فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ولكن قدم الرسول ﷺ بمقدمة عظيمة، دعا بالنضارة؛ نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها، ثم بلَّغها إلى مَن لم يسمعها.

هنا تحفيز من النبي ﷺ ودعاء بالنضارة في الدنيا والآخرة لمن يسمع هذه المقالة وهذه الوصية، ثم يعيها بقلبه وجوارحه، ويعمل بها في حياته كلها، وحفظها؛ لكي يبلغها إلى من بعده، إلى مَن لم يسمعها، ثم علَّل ذلك بقوله: فإنه رُبَّ حامل فقه ليس بفقيه، يحمل الفقه ويحمل الحديث لكنه يحفظ فقط، ورُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٦٧٣٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٠٤).

«ثلاث لا يغل عليهن قلب المسلم» وفي رواية: «ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن»، قال ابن عبد البر: (ألا ترى أنه ﷺ دعا لمن حفظ مقالته هذه فوعاها ثم أداها تأكيدا منه في حفظها وتبليغها) ، وأحاديث رسول الله ﷺ من حفظ الله لهذا الدين تُتلى على الناس غضَّة طرية، كأن الناس يسمعونها من رسول الله ﷺ، وستبقى هذه سلسلة بحفظ الله إلى آخر الزمان حيث تظهر الفتن، ويظهر أكبرها الدجال.

يأتيه شاب من المدينة وقد ادَّعى الربوبيةَ هذا الدجالُ فيقول: أنت الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيحفظ ويعصم بالسنة الواضحة البينة الطرية الغضة، فامتثل السلف والعلماء هذه الوصية وحفظوها، وبلَّغوها حتى تُليت على أسماعكم في هذه الليلة المباركة.

هذه الوصية -أيها الأفاضل- فيها قيام بالدين، وصيانة من الفتن، وأمان من الشرور، وفيها ردٌّ على كثير من الأدعياء ممن يفارقون الجماعة، ويحقدون على الأمة بزعم حب الخير والنصح وإقامة الدين.

قال ابن تيمية رحمه الله: (هذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة) ، وقال غيره: (ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو ببعضها).

«ثلاث لا يغل عليهن قلب المسلم»، قال ابن الأثير: (المعنى أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهَّر قلبه من الخيانة والدغل

والشر) ، أي قلبك لا يصفى ولا ينقى إلا إذا امتثلت هذه الثلاث، وعملت بها، وقمت بحقوقها، وإلَّا فقلبك فيه دخَن.

(ثلاث لا يغل) أي: لا يكون فيه غش وضغن وحقد، قال ابن القيم: (قوله ﷺ : (ثلاث لا يغل عليهن قلب المسلم) أي: لا يحمل الغل، ولا يبقى فيه مع هذه الثلاث، فإنها تنفى الغل والغش، فالمخلص لله إخلاصه يمنع غل قلبه؛ لأنه يعمل لله، ولا يعمل للناس).

ولذلك تعلم الاعتقاد الصحيح مما يقيم القلب وينقيه، ومن الاعتقاد الصحيح معرفة السنة في حقوق الأئمة، قال: فقوله: (مناصحة أئمة المسلمين) هذا أيضًا منافٍ للغل والغش؛ فإن النصيحة لا تجامع مع الغل، إذ هي ضده، والنصيحة الخلوص، نصحت العسل إذا صفيته من الشوائب، فمقتضى النصيحة لولاة الأمر أن تحب لهم ما تحب لنفسك، وأن تراعي مصالحهم وأن تعينهم على القيام بواجباتهم ونحو ذلك، لا أن تظهر المدح في وجوههم وتظهر الطعن في غيبتهم، هذا ليس من النصح.

من النصح أن تحذّره ممن يريد له الشر، وأن تحذر ممن يثير الفتن على البلاد ونحو ذلك، فالناصح يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، ويدعو إليه ويبينه له، يبين له الخير ويرغبه فيه، اجعل نفسك مكان أخيك، كأنك تنصح لولدك، لا ترجو دنيا ولا مالًا، فالغالُّ حاقدٌ وليس بناصحٍ.

قال: وقوله: (لزوم جماعتهم) هذا أيضًا مما يطهِّر القلب من الغل؛ لأن من الإخلاص لله أن تخلص فيما أمرك به من العمل، من ذلك المناصحة، ومن ذلك لزوم الجماعة، فهذه ثمرة النصح لولاة الأمر أن تلزم جماعتهم.

قال ابن القيم: (فإن صاحبه في لزوم جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم، قال: وهذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لهم).

قال أبو الدرداء: (**إن أول نفاق المرء طعنُه على إمامه**) ، ولذلك الخوارج لما فارقوا الجماعة ولم يلزموها امتلأ قلبهم بالحقد على المسلمين، يبدأ بالحقد على ولاة الأمر ثم على رعيتهم ممن يواليهم، ولذلك لا يجدون ضغائن، لا يجدون أي حرج وضيق في الطعن في الولاة وتكفيرهم، ثم إن تمكنوا من قتلهم قتلوهم.

ولذلك يقتلون الناس ولا يبالون لامتلاء قلوبهم بالحقد على المسلمين، فأشد الناس حقدا على المسلمين الخوارج، فهم حقدا من اليهود والنصارى كما قال ابن تيمية رحمه الله، ولذلك قال النبي ﷺ عنهم: «شر قتلى تحت أديم السماء»[(١)]؛ لأنهم يقتلون المسلمين ويتعبّدون بذلك.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٠٠) واللفظ له، وأحمد (٢٢٢٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٧٦).

ثم قال: (فإن دعوتهم تحيط من ورائهم) ، هذه ثمرة لزوم الجماعة، يعني: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، هذه الأمور إذا امتثلها الإنسان كأنه دخل في حصن حصين وسور متين يمنع عن نفسه دخول الشر عليه وعلى إخوانه.

قال: (فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)، فلزوم الجماعة والنصح لولاة الأمر حصن حصين.

قال ابن القيم رحمه الله: (هذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفخمه معنًى، شبه دعوة المسلمين بالسور والسياج المحيط بهم المانع من دخول عدوهم عليهم)، العدو متى يدخل؟ إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية[1] ، يتربَّص مَن يطعن في ولاة الأمر، مَن يطعن في الدول يحتضن ويمد ويمكن من الإعلام وغيره حتى يفوت في عضُد المسلمين؛ ويضعف جماعتهم.

العدو متربص وينظر ويراقب، إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، لذلك كعب بن مالك ﷺ لما وقعت له المحنة حين تخلف عن غزوة تبوك أمر النبي ﷺ باعتزاله وممن تخلف معه، حتى ضاقت عليه الأرض، ولم يكن يكلّمه أحدٌ،

(١) رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وأحمد (٢١٧١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٤٢٧).

فكان يأتي النبيَّ ﷺ فيسلم عليه، فيقول: لا أدري أرد عليَّ السلام أم لا، ثم إذا نظر إليه التفت عنه النبي ﷺ، فإذا أقبل في صلاته نظر إليه رسول الله .ﷺ

قال: فبينما أنا في سوق من أسواق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام يبيع حاجة له يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون إليَّ، وهذا من شدة امتثالهم لأمر رسول الله ﷺ، لم يتكلموا بكلمة، إنما طفق الناس يشيرون إليَّ، فجاءني فإذا معه قال : كتاب من ملك غسَّان، فإذا فيه: أما بعد: فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، وإن الله لم يجعلك في دار مهانة فالحق بنا نواسِك.(١)

عدو كافر يريد أن يواسيه، ينظر، يراقب مجتمع المسلمين، مَن يقبل العرض لضعفه لعدم لزومه الجماعة ونحو ذلك، فيطمع فيه، فالعدوُّ متربص، فبقدر الإخلال بالجماعة يدخل الخلل على الناس، ولذلك البيت إذا كان متوحدًا لا تخافْ عليه، العدو لا يستطيع أن يلجَهُ، إنما إذا ثغرت ثغرة من الداخل تمكَّن العدو من البلد وبثَّ سمومه.

ولذلك جاء الإسلام بتحريم الخروج عن الجماعة ولو بكلمة، مَن فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية، جاء الإسلام بتحريم التحزُّب؛ لأن الأحزاب ضعف لجماعة المسلمين، كل حزب يريد أن يقوي جماعته وينازع

---

(١) رواه البخاري (٤٤١٨).

السلطان؛ ليأخذ الحكم عنه، وقد قال الله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام:١٥٩].

قالت أم سلمة: (**ألا إن نبيكم قد برئ ممن فرَّق دينه واحتزب**)، ولذلك قال حذيفة رضي الله عنه للرسول ﷺ لما ذكر دعاة الجور وأنهم دعاة على أبواب جهنم قال: كيف تأمرني إن أدركتُ ذلك؟ قال: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ. (١)

فمن أعظم ثمرات لزوم جماعة المسلمين أنها تقي المسلمين من الشرور ومن الفتن ومن الضعف ومن غير ذلك من الأمور الكبيرة، قال: (فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)، قال ابن الأثير: (أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم، يريد أهل السنة دون أهل البدعة)، و لذلك قال مالك رحمه الله: (السنة سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلف عنها غرق).

فالسنة مركب النجاة، والحاكم ربانها وعلماء السنة مهندسوها، يصلحون الخلل ويتداركون الزلل، والحقوق في هذه السفينة تُضبَطُ بالشرع، فلو أن كل أحدا أراد أن يخرق تحته وادعى الحرية فلو تُرك غرق الجميع، وواجب الربان

---

(١) رواه البخاري (٧٠٨٤).

ومساعدوه أن يحافظوا على هذه السفينة، ويأخذوا على أيدي السفهاء، ويسعَوا في توفير الخير للناس، وعلى الناس أن يطيعوا ويسمعوا، فالفتن محيطة، والأعداء متربصون.

فمن خرج عن الطاعة زرع الشر، وطمع فيه عدوه، وهو يظن أنه سيحصل على خير، والحق أنه سيرتمي في أحضان الشيطان، ولا يجني إلا الشر، ولذلك قال النبي ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض، فمَن أكرمه أكرمه الله ومَن أهانه أهانه الله»[(١)].

وتأمل هذا الحديث وهذا التشبيه البديع، (السلطان ظل الله في الأرض)، من لا سلطان له لا ظل له، إنما يتعرض إلى حر الشمس وسمومها يهيم على وجهه، إن كان عنده خير يذهب، بخلاف الذي يجلس في الظل يجد الراحة، يجد النسيم العليل، إن كان عنده خير حُفِظَ لم يفسد من شر الفتن، ثم إن كان في الشجرة ثمر سقط عليه.

السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله بالأمن، بالاستقرار، بالخير، وبغير ذلك، بحفظ الدين، حفظ العرض، حفظ الدم وغير ذلك، ومن

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٨٨)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (١٠٢٤).

أهانه أهانه الله، لذلك من دخل في الفتن ودارت عليه رحاها انظروا في حالهم، كثير من الناس مشتَّتٌ ضائع، الوطن حضن كحضن الأم، من لا وطن له يتيم.

لذلك قال مُحَمَّد بن هارون: (مَن لم يشرب من ماء الغربة ويضع رأسه على ساعد الكربة لم يعرف حق الوطن والتربة)، فمن لزم السلطان أكرمه الله، وكرامة الله لا تعد ولا تحصى، ولذلك لا يزال الناس بخير ما عظَّموا السلطان، (إن من إجلال الله إكرام السلطان المقسط)، فبدون الإكرام والتوقير لا تحصل الهيبة التي تقتضي السمع والطاعة.

مَن الخيّر مِن الأئمّة؟ الخيّر من الأئمة بيَّنه النبي ﷺ بقوله في حديث عوف بن مالك: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ مَنْ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ»[(١)]، هذا خير، إذا تواصلت الدعوات بين الراعي والرعية، وتبادلت المحبة بينهما هذا علامة خيرية في الناس.

قال القرافي رحمه الله: (ضبط مصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا بعظمة الأئمة في نفس الرعية، ومتى اختلفت عليهم أو أهينوا تعذرت المصلحة)، فالسلطان نعمة على الناس، ومصلحة الناس من السلطان أعظم من مصلحة السلطان من الناس، السلطان يتعب ويسهر ويوفر للناس الراحة، ونحن لا نشعر بشيء.

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٥).

قد يحرم النوم الليالي المتتابعات، وأحدنا يمرح ويسرح أينما شاء، يجلس بين أولاده، ينام قرير العين، في أمر وإرثٍ وخير متوافر لا يشعر.

قال الطرطوشي رحمه الله: (ومثال السلطان القاهر لرعيته أي: الذي تسمع له رعيته وتطيع ورعية بلا سلطان مثال بيتٍ فيه سراج منير، وحوله فئام من الناس يعالجون صنائعهم، فبينما هم كذلك، يعني مثال السلطان القائم في البلد المطاع، مثال رعية بلا سلطان قال: مثال بيت فيه سراج منير، وحوله فئام من الناس يعالجون صنائعهم، يشتغلون كل في عمله وفي وظيفته، يهتم بأمر معاشه وأولاده، قال: فبينما هم كذلك إذ طُفئ السراج.

ما هو السراج؟ السلطان، قال: فقبضوا أيديهم في الوقت، أصبحت ظلمة، وتعطل جميع ما كانوا فيه، قال: فتحرَّك الحيوان الشرير، وتخشخش الهوام الخسيس، ودبّت العقرب من مكمنها، وفسقت الفأرة في جحرها، وخرجت الحية من معدنها، وجاء اللص بحيلته، وهاج البرغوث مع حقارته؛ فتعطَّلت المنافع، واستطالت فيهم المضار، كذلك السلطان، إذا كان قاهرا لرعيته وكانت المنفعة به عامة، وكانت الدماء به مصونة والحُرُم في خدورهن مصونة، والأسواق عامرة والأموال محروسة، فإن اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع.

قال: ولو جعل ظلم السلطان حولا في كفة، كان هرج الناس ساعة أرجح وأعظم من ظلم السلطان حولا، قال: كيف لا وفي ذهاب السلطان أو ضعف

شوكته سوق أهل الشر، ثم قال: فلا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور، أو فاسق يتمنى كل محذور)

قالوا: ديمقراطية، حرية، حقوق، فرّ مع الناس وخرج معهم، فلما اشتعلت الفتن هو أول المحترقين.

قال: لا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور، أو فاسق يتمنى كل محذور، يريد الزنا، الفساد، الشر، السرقة، السلطان قائم بالحقوق والحدود، يمنعه؛ فيريد أن يتخلص من السلطان حتى يسطو على الناس، فلا يتمنى زوال السلطان إلا كل جاهل مغرور، أو فاسق يتمنى كل محذور.

قال: فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله تعالى في إصلاح السلطان، وأن تبذل له نصحها وتخصه بصالح دعائها، فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد.

قال: وكان العلماء يقولون: إذا استقامت لكم أمور السلطان، -هذه وصية العلماء عبر القرون-، إذا استقامت لكم أمور السلطان فأكثروا حمد الله تعالى وشكره، وإن جاءكم ما تكرهون وجهوه إلى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم، وأقيموا عذر السلطان لانتشار الأمور عليه، وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة، واستئلاف الأعداء وإرضاء الأولياء وقلة الناصح وكثرة المدلس والفاضح).

فهذا النقل أيها الأفاضل يبين منزلة السلطان، وهذا مثال للسلطان ولزوم جماعته، فالأمر ليس فيه تساهل، ولذلك قال النبي ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ -فتن في الملك وغيره- فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جَمِيعٌ، فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض».[(١)] من فارق الجماعة يأخذ الشيطان بيده ويركض به إلى الفتن.

وتأمل كائنا من كان، لا تقل: حافظ قرآن، داعية، إصلاحي، بارٌّ بوالديه، كل مَن أراد أن يفرق الجماعة لا يُتَساهل معه، لماذا؟ لأن تركه إغراق للسفينة، وإهلاك للمجتمع، ولذلك قال ﷺ: «مَن أهانه، -أي: السلطان- أهانه الله» ليس له كرامة ولا حرمة ولا قيمة.

قال ﷺ: «خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[(٢)]، وقال: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا، وفي رواية: مَن فارق السلطان شبرا مات ميتته جاهلية»[(٣)] متفق عليه.

قال ابن أبي جمرة: المراد بالمفارقة: (السعي في حلِّ عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير، ولو بأدنى شيء، فكنَّى بمقدار الشبر، قال: لأن الأخذ في ذلك

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٥١).

(٣) رواه البخاري (٧٠٥٤).

أي: الخوض ومفارقة الجماعة ولو بأدنى شيء يؤول إلى سفك الدماء بغير حقٍّ).

ولا تغترَّ بالشعارات: إصلاح، حقوق، ديمقراطية، حرية، أمر بمعروف، نهي عن منكر، فابن سبأ رفع شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال لأتباعه: ابدءُوا بالطعن على الأئمة، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تستميلوا الناس.

ومن قبلهم المنافقون بنوا مسجدا ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ، وحلفوا بالأيمان المغلظة إن أردنا إلا الحسنى، واجتمعوا على السرية وعلى التخطيط؛ ففضحهم الله ﷻ، فالعبرة بالسنة وليس بالمظاهر والشعارات والتستر بالدين مع فساد الباطن.

رأى عمر بن عبد العزيز رجلا من العمال كثير الصلاة، فدس عليه مَن قال له: إن أخذت لك الولاية الفلانية، يعني: إن سعيت لك إلى أن تكون واليا على هذه المنطقة فما تعطيني؟ قال: أعطيك كذا وكذا، هل رفض الطلب؟ لم يرفض، فقال عمر: غررتنا بصلاتك.

وأتى رجلٌ من الخوارج الحسنَ البصري فقال له: ما تقول في الخوارج؟ ما يسمون عندنا بالإصلاحيين، ما تقول في الخوارج؟ قال: هم أصحاب دنيا، قال: من أين قلت هذا وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه، يفر إلى سوريا ليقاتل، يفر إلى العراق ليقاتل، يترك أهله وماله.

قال: ويخرج من أهله وولده، قال: حدثني عن السلطان، أيمنعك من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة؟ قال: لا، قال: أراه منعك الدنيا فقاتلته عليها.

فالتستر بالدين هذه سمة للخوارج قديمة، والانضمام لهم من الفتن والانحراف، فعليكم -أيها الأفاضل- أن تستمسكوا بالسنة الواضحة البينة من رسول الله ﷺ، {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [آل عمران:١٠٣].

الجماعة حصن حصين، وأنتم تشاهدون الفتن، والدول تموج من حولنا، ودولتنا تخوض حربا ونحن لا نشعر، فنحن في أمن وأمان ورخاء عيش واستقرار وخيرات متدفقة، هذه ثمرة من ثمرات لزوم الجماعة، والجماعة تحتاج إلى شكر، والنعم تحتاج إلى شكر.

ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فاحذر أن تغرق في هذه السفينة، وأن تتسبب في إضعاف الحاكم ولو بكلمة، لا يكون على لسانك إلا الخير خاصة إذا خلوت بأهلك وولدك وأصحابك، لا تنتقد؛ لأن هذا فتح للشر على البلد، وإسقاط لهيبة السلطان.

أبو جمرة الضمري قال: لما بلغني تحريق البيت خرجت إلى مكة، واختلفت إلى ابن عباس حتى عرفني واستأنس بي، بل وكان ابن عباس من شدة حبه لهذا الرجل كان يجلسه على كرسيه حين يعلّم العلم.

قال: فسببت الحجاج عنده يوما، يعني: بيني وبينه، والحجاج تعرفونه من هو، جاء وصفه بأنه المبير، في سنن الترمذي أحصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغوا عشرين ومائة ألف، حرق البيت وقتل ابن الزبير وفعل وفعل، قال: فسببت الحجاج عنده، فقال: لا تكن عونا للشيطان، عدّد النعم واذكر الفضائل إذا خلوت بأهلك، واغرس فيهم حب وطنهم وحب ولاة أمرهم، بهذا تزرع الخير، وتحافظ على النعم وتشكرها.

قال ﷺ: «مَن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومَن لم يشكر الناس لم يشكر الله»[(١)]، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب، لن تعرف قدر هذه الرحمة إلا إذا فقدتها، والفرقة عذاب، لن تعرف قدر هذا العذاب للفرقة إلا إذا فقدت الجماعة.

قال ابن عباس: (قضم الملح في الجماعة أحب إليَّ من أكل الفالوذج في الفرقة)، فالصبر على شظف العيش والجوع مع الجماعة خير بكثير من الفرقة، الناس يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح، يخافون على أعراضهم حين يذهب السلطان أو تذهب هيبته.

نسأل الله ﷻ أن يحفظ بلادنا بحفظه، وأن يوفق ولاة أمورنا بتوفيقه، وأن يوزعنا شكر النعم، وأن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، ويجزي عنا ولاة أمورنا خير

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٨٤٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٩٧٦).

الجزاء، وأن يوفقهم إلى ما يحب ويرضى، ويديم علينا الأمن والأمان، ويجعل بلادنا قارة وأرزاقنا متوافرة، وأمننا مستقرًّا، وأن يحفظ المسلمين بحفظه، وأن يوفقهم إلى ما يحبه ويرضى، ويدرأ عنا وعن المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أقول هذا والحمد لله رب العالمين، وجزاكم الله خيرا، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

©www.bayoona.net

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة

الإمارات العربية المتحدة